

إمكانات الفصحى في التعريب

عودة الله منيع القيسي

أما الشكوى من العربية ... أنها لا تفي بمتطلبات الترجمة ولا توفر مادة كافية للمصطلحات الجديدة ... فلم تعرف الا في العصر الحاضر ، عندما بدأ نقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية .

لماذا - اذن - كانت الشكوى في التجربة الحديثة ولم تكن في التجربة القديمة ؟

مع وعينا على أن ما يطرحه العصر الحاضر من كتب واجبة للترجمة ، ومن مصطلحات يبلغ عشرات أضعاف

معروف ان اللغة العربية خاضت تجربة التعريب في حقبة سابقة ، قبل العصر الحديث ، ذلك ايام الدولة العباسية .

فقد ترجم كتب كثيرة في فنون مختلفة ، منها العلوم التقنية ، كالطب والفلك والكيمياء ترجمت الى اللغة العربية ، فلم تضق العربية بشيء من هذه العلوم ، ولم نجد احدا من المترجمين وحملة الاقلام يشكو من أن العربية تضيق بالمعاني المترجمة أو أنها لا توفر الكلمات الاصطلاحية للمفاهيم الجديدة .

* بحث مقدم الى ندوة : التعريب وتوحيد المصطلحات العلمية والتقنية ، الجزائر 23 نيسان (أبريل) 1984 .

ما كان في العصر العباسي . فان لهذه الشكوى عللا
تدعونا الى (ادانة) هذه الشكوى . . . منها :

1 - أن المستشرقين الحاقدين على الامة العربية
والاسلامية هم الذين روجوا هذه الشكوى أساسا
زاعمين أن العربية ليست لغة علمية ، فلا تصلح
- اذن - للترجمة . ثم تابعهم تلامذتهم أو
الساثرون خلف كل ناعق ، المقلدون لكل قول
غريب ، أو التائفون الى هدم مجد العرب والاسلام .

2 - ان الامة القروية المعتزلة بكيانها ووجودها لا يخطر
ببالها مثل هذا الشعور ، بل تجد نفسها قادرة على
اجتياز أعتى العقبات ، وفي مجال اللغة . . لا يخطر
ببالها أن لغتها ضعيفة ، أو أنها عاجزة عن مواجهة
التحدي التي تطرحه الترجمة ونقل المصطلحات .
يبدلنا على ذلك أن اللغة اليابانية من أصعب اللغات ،
وأن حروفها أشبه بالرسوم الهندسية المعقدة ،
حتى ليخيل للمرء أن التلميذ الذي يقضي فصلا
لمعرفة أشكال الحروف العربية وكتابتها يقتضيه
معرفة أشكال اللغة اليابانية أربعة فصول دراسية
على الأقل . ومع ذلك . . . لم نسمع أن اليابانيين
يشكون من لغتهم ، أنها غير قادرة على الترجمة أو
على استيعاب المخترعات الحديثة .

ان اللغة . . . صورة رمزية لشخصية الامة .
وعلى هذا . . . فالامة التي تشكو من ضعف لغتها ،
هي - في الحقيقة - تحكم على نفسها انها امة
ضعيفة متخلفة . ان ضعف اللغة - في حقيقته -
هو ضعف امة ، لان اللغة - الى حد ما - افراز
اجتماعي حضاري . ولهذا لا نجد امة قوية تكثر
الشكوى من ضعف لغتها .

3 - ان اللغة العربية - في حقيقتها - على خلاف ما
يزعمه الزاعمون هي من أغنى اللغات على وجه
الارض ؛ بل هي أغنى لغة من حيث القدرة على
التوليد . لا نقول ذلك عاطفة وحمية . وانما نقوله
انطلاقا من مقارنة عملية بينها وبين الانجليزية ،
نشرتها ، على حلقات ، في مجلة (هدي الاسلام)
الاردنية . نكتفي - هنا - بالاشارة الى بعض
عناصر هذه المقارنة :

أ - صوت الحرف في العربية واضح محدد ، ولذلك
فالتالط الذكي ، في مستوى المرحلة الاعداية ،
يستطيع أن يقرأ كل كلمة مشكولة ، وان لم يسبق
له أن قرأها أو سمعها .

أما صوت الحرف في الانجليزية - مثلا - فليس
كذلك ، وخاصة حروف العلة ، ولذلك فالانجليزي
خريج الجامعة ، متخصصا بالادب الانجليزي ، لا
يستطيع أن يقرأ كثيرا من الكلمات الجديدة التي
لم يسمع بها من قبل ، عندما تحتوي هذه الكلمات
حروف علة .

والا . . . فلماذا نقرأ (god) بمد حرف الـ (0)
وكانه (A) ، في حين نقرأ (good) بالخطف ،
كانها لا تحتوي حرف الـ (0) الا مرة واحدة .
ونقرأ (goby) بمد حرف الـ (0) وكانه مضاعف .
ونقرأ (gold) وكانها تحتوي حرف الـ (0) ،
مضاعفا ثلاث مرات تقريبا .

وهكذا هو الامر في كثير من الكلمات التي تضم بين
حروفها حرف علة أو أكثر .

ب - ومثل القراءة . . . الاملاء .

ومرة بـ (an) مثل (magician) ، ومرة بـ (ing) مثل (going) وهكذا كثير . ولكن الاعم ان ليس ثمة قاعدة تضبط كل استعمال من هذه الاستعمالات وغيرها .

– سلب الفاعلية : بعض الافعال في العربية لا يأتي منه اسم الفاعل . مثل : فرح ، حزن . مرض ، سعد فهذه وأمثالها لا يأتي منها اسم الفاعل ، وإنما يسد مسده (الصفة المشبهة) . فلماذا ؟ العلة أنها أفعال (لا ارادية) ، والفاعلية قائمة – عقلا – على أن الفعل ارادي . أي على أن المرء يقوم بالفعل بإرادته ، أما الافعال التي تفرض عليه أو تدخل الى نفسه بغير ارادة منه ، فهو ليس فاعلا لها . ولهذا : كان الاحجى الا يأتي منها اسم فاعل .

أما الافعال في اللغة الانجليزية التي لا يأتي منها اسم فاعل . فليس لها تعليل ما . انها اجراءات اعتباطية .

كل هذا الذي ذكرناه عن خصائص العربية وتفوقها على الانجليزية ، وعن تجربتها القديمة الناجحة يعني انها لغة غنية قادرة على استيعاب الافكار والمعلومات الجديدة ، قادرة على نقل المفاهيم والمصطلحات الجديدة أي قادرة على التعريب . وما يقع من نقص انما هو لنقص العلم بها أو لنقص في الظروف الاجتماعية والحضارية التي يعيشها أهلها .

فالاملاء في العربية ليس فيه صعوبة كبيرة . فكما تصوت نكتب ، بعد أن تجتاز مرحلة التمييز بين صوت الحرف والحركة وبين صوت الحرف يتصل به حرف مد . وهذا التمييز يحصل في نهاية المرحلة الابتدائية لدى التلميذ النابه . وما يشذ عن هذه القاعدة : (كما تصوت نكتب) انما هو كلمات قليلة مثل : (لكن وهذا والسموات) أو كلمات لها قاعدة تنتظمها كذلك التي تنتهي (بواو الجماعة) . وليس كذلك الانجليزية فالصعوبة التراثية فيها تنعكس صعوبة املائية . فلا يستطيع المرء ان يكتب الكلمات التي تضم حروف علة ، الا اذا كان قد قراها من قبل ، وحفظ صورها .

4 – المنطقية والاعتباطية : معروف أن اللغة الانجليزية لغة (اعتباطية) (Arbitrary) ، يقول هذا أهلها أنفسهم ، وهذا يعني أن معظم استعمالاتها ليس لها أسباب منطقية معقولة . ونذكر على ذلك أمثلة ، مجرد أمثلة للتوضيح :

– اسم الفاعل في العربية له صورتان قاعديتان ، الاولى أن كل فعل ثلاثي يكون ، اسم الفاعل منه على وزن فاعل ، وكل فعل فوق الثلاثي فاسم الفاعل منه يكون على وزن مضارعه ، بعد أن يبديل حرف المضارعة ميما مضمومة ويكسر ما قبل الآخر . أمر واضح مبني على قاعدة محددة .

أما اسم الفاعل في الانجليزية فليس له قاعدة معروفة ولا تعليل ما ، فمرة ينتهي بـ (er) مثل (doer) ومرة بـ (ant) مثل (participant)